

الفصل الخامس والعشرون

غزوة تبوك أو العسرة

أصل التسمية «تبوك»:

روى مسلم^(١) بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي». فهذا رسول الله ﷺ سماها تبوكا قبل أن يأتيها أحد، فلا وجه لقول غير هذا^(٢).

التسمية بغزوة العسرة:

جاءت تسميتها بغزوة جيش العسرة من الحديث الذي رواه البخاري^(٣) بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: «أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك...» وعنون البخاري^(٤) لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة). وحديث الأشعري واضح الدلالة على ما كان عليه الصحابة (رضي الله عنهم) من العسر الشديد في المال والزاد والركائب.

وروى مسلم^(٥) بسنده إلى أبي هريرة ما وقع للمسلمين في طريق هذه الغزوة من نقص في الزاد حتى مصوا النوى وشربوا عليه الماء. وفي رواية

(١) صحيح مسلم (٤/١٧٨٤ ح/٧٠٦)، وغيره.
(٢) انظر تفصيل ذلك عند السندي: الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ص ٣٨ وما بعدها - وهي رسالة ماجستير مطبوعة.
(٣) الفتح (١٦/٢٣٨ ح/٤٤١٥).
(٤) الفتح (١٦/٢٣٧).
(٥) (١/٥٥ - ٥٦ ح/٢٧).

أخرى أنهم استأذنوا الرسول ﷺ في نحر مطاياهم ليأكلوا^(٦).
 ودل على هذه الضائقة الاقتصادية الآية الكريمة ﴿لقد تاب الله على النبي
 والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾^(٧).
 تاريخ الغزوة:

خرج الرسول ﷺ لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري^(٨)،
 بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر^(٩).
 سبب الغزوة:

ذكر الواقدي^(١٠) وابن سعد^(١١) أن هرقل جمع جموعا من الروم وقبائل
 العرب الموالية لها، فعلم بهم الرسول ﷺ فخرج إليهم. وذكر يعقوب^(١٢)
 أن سببها أخذ الثار لجعفر بن أبي طالب.
 وروى ابن عساکر^(١٣) في سبب الخروج إلى تبوك أن اليهود أتوا الرسول ﷺ
 وقالوا له إن كنت صادقا بأنك نبي فالحق بالشام فإنها أرض المحشر
 والأنبياء، تغريبا بالمسلمين ليخرجوهم من المدينة ويعرضوهم لخطر المواجهة
 مع الروم، وعندما وصل تبوكا نزلت عليه آيات من سورة بني إسرائيل منها
 ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها﴾^(١٤)، تفصح موقف
 اليهود، وأمره الله بالرجوع إلى المدينة حيث الهات والمحشر.

(٦) مسلم (١/٥٦/ح ٢٠٧).

(٧) التوبة: ١١٧.

(٨) وانظر تفسيرها عند الطبري: التفسير (١٤/٥٤٠ - ٥٤٢) والآثار الواردة في ذلك.

(٩) ابن إسحاق، مغلقا - ابن هشام (٤/٢١٥)، ابن سعد (٢/١٦٥) مغلقا.

(١٠) قال ابن حجر في الفتح (١٦/٢٣٧): «إن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل
 حجة الوداع بلا خلاف، وعند ابن عائد من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بسنة
 أشهر وليس مخالفا لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور، لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه
 من الطائف في ذي الحجة».

(١١) المغازي (٣/٩٨٩ - ٩٩٠) عن مجموعة من شيوخه.

(١٢) الطبقات (٢/١٦٥)، من رواية الواقدي.

(١٣) التاريخ (٢/٦٧).

(١٤) تاريخ دمشق (١/١٦٧ - ١٦٨) بإسناد مرسل ضعيف لأن فيه أحمد بن عبد الجبار القطاردي،
 وهو ضعيف، وقال ابن كثير: التفسير (٥/٩٨): «وفي هذا الإسناد نظر. والأظهر أن هذا ليس
 بصحيح». ويرده أن الآية مكية وسكن المدينة بعد ذلك كما قال ابن كثير في التفسير (٥/٩٧).

(١٥) الإسراء: ٧٦.

وقال ابن كثير^(١٦) فعزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقرابتهم إلى الإسلام وأهله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١٧).

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب إلى الصواب. إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بما فيهم أهل الكتاب الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير.

الإِنْفَاقُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ:

حث الرسول ﷺ الصحابة على الإِنْفَاقِ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ لِبَعْدِهَا وَكَثْرَةُ الْمُشْرِكِينَ فِيهَا، وَوَعْدُ الْمُتَّقِينَ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ مِنَ اللَّهِ. فَأَنْفَقَ كُلٌّ حَسَبَ مَقْدَرَتِهِ، وَكَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَكْثَرَ الْمُتَّقِينَ. وَوَرَدَتْ فِي ذَلِكَ عِدَّةُ أَحَادِيثَ وَأَثَارٍ، مِنْهَا:

روى البخاري^(١٨): «قال النبي ﷺ: «... من جهز جيش العسرة فله الجنة»، فجهزه عثمان. وروى من حديث أبي عبد الرحمن السلمي أن عثمان (رضي الله عنه) قال لمحاصريه أيام الدار: «ألستم تعلمون أنه قال: من جهز العسرة فله الجنة؟ فجهزته»، فصدقوه بما قال^(١٩)، وروى من هذا الطريق وبنحو الترمذي^(٢٠)، ولفظه: «أذكركم بالله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة؟ والناس مجهدون معسرون، فجهزت ذلك الجيش؟ قالوا: نعم...». ومن طريق آخر من حديث ثمامة بن حزن: «... أنشدكم الله وبالإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم»^(٢١).

(١٦) البداية والنهاية (٣/٥) والتفسير (٩٨/٥)، وانظر بقية أقواله في هذا المعنى في هذين المكانين.

(١٧) التوبة: ١٢٣.

(١٨) الفتح (١٤/١٤٤ - ١٩٥/١٩٥) ك. الفضائل/ ب. مناقب عثمان/ ترجمة الباب - معلقا.

(١٩) البخاري/ الفتح (١١/٢٥٠ - ٢٥١/٢٧٧٨) تع.

(٢٠) صحيح سنن الترمذي للالباني (٣/٢٠٨) ك. المناقب/ ح (٢٩١٩، ٣٩٦٥).

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

وبلغت هذه المشاركة من عثمان ألف دينار. وعندما نثرها في حجر النبي ﷺ، أخذ يقلبها ويقول مرارا: ماضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم» (٢٢).

وقيل إن عثمان (رضي الله عنه) قدم أشياء عينية كالإبل وعدتها (٢٣)، وليس هناك ما يمنع ذلك، مادام قد ثبت أن الصحابة قد أقروا له بتجهيز جيش العسرة، كما هو ظاهر الأحاديث والآثار التي ذكرناها.

وروي أن عبدالرحمن بن عوف أنفق ألفي درهم، وهي نصف أمواله، لتجهيز جيش العسرة (٢٤)، وأن عمر تصدق بمائة أوقية (٢٥).

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين. فقد جاء أبو عُمَيْل بنصف صاع من تمر وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوهما قائلين: «ان الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء»، فنزلت الآية ﴿الذين يلزمون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ (٢٦).

(٢٢) أحد: السنن (٥٣/٥)، صحيح سنن الترمذي (٢٠٩/٣ ح/٢٩٢٠، ٣٩٦٧) وحسنه الألباني، الحاكم: المستدرک (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي، وفي إسناده كثير بن أبي كثير، مولى أبي سمرة، وهو مقبول - انظر: التقريب، ص ٤٦٠، وثقة العجلي وابن حبان، وهما متساهلان - انظر میزان (٣/٤١٠)، ويبدو أن الألباني حكم على الحديث بالحسن لهذا السبب، ولما له من الشواهد.

(٢٣) الترمذي: السنن (٢٨٩/٩ - ٢٩٠/٢ ك. المناقب/ ب. مناقب عثمان/ ح ٣٧٠٠)، وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المقررة، والحاكم في المستدرک (١٠٢/٣) وصححه ووافقه الذهبي، ولكن فيه فرقة أبطلحة، وهو مجهول (عهدب التهذيب (٢٦٤/٨) فلا يسلم لها بهذا التصحيح، ولعل هذا هو السبب في عدم تحريج الألباني له في صحيح سنن الترمذي. وانظر ما روي من أقوال في نفقة عثمان (رضي الله عنه) التقديرة والعينية عند ابن حجر في الفتح (٢٥٢/١١) وحكمه ومناقشته لها.

(٢٤) انظر الروايات في هذا عند الطبري في تفسيره (٣٨٢/١٤ - ٣٩١/شاکر) عند تناوله تفسير قوله تعالى ﴿الذين يلزمون المطوعين...﴾ - التوبة: ٧٩. والروايات التي ساقها ضعيفة ولكنها تعضد لتقوية الخبر تاريخياً.

(٢٥) ابن عساکر: تاريخ دمشق (٤٠٨/١ - ٤٠٩) بإسناد ضعيف، لأن فيه أحمد بن إبراهيم ابن أرطاة، وهو صدوق، ومحمد بن عائذ - صدوق، وعثمان بن عطاء - ضعيف، ويستبعد أن يثبت الرسول ﷺ على النفقة في هذه الغزوة ولا يتفق الصحابة أمثال عمر. فقد ثبت أنه أراد أن يسابق أبي بكر في التصديق عندما أمرهم الرسول ﷺ بها، فجاء بنصف ماله، ثم جاء أبو بكر بكل ماله، فأقسم ألا يسابقه إلى شيء أبداً - رواه الترمذي في السنن (٢٧٧/٩ ك. المناقب/ ب. مناقب أبي بكر/ ح ٣٦٧٦). وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، ورواه غيره. ولم يذكر الحديث أن ذلك كان في غزوة تبوك، وإن كان لا يستبعد أن يكون ذلك كان فيها.

(٢٦) البخاري/ الفتح (٢١١/١٧ - ٢١٣ ح/٤٦٦٨).

وجاء أبو خَيْثَمَةَ الأنصاري بصاع تمر فلمزوه أيضا^(٢٧)، ولعله هو المعني أيضا في حديث الطبري^(٢٨) في إنفاق ابن عوف، وفيه أن رجلا من الأنصار قال: «... وإن عندي صاعين من تمر: صاعا لربي وصاعا لعيالي»، فلمزه المنافقون، وقالوا: «ما أعطى ابن عوف هذا إلا رياء»، وقالوا: «أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا؟» فأنزل الله الآية: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين...﴾.

وواضح من هذا أنهم يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء. وروي أن عُلْبَةَ بن زيد بن حارثة عندما لم يجد ما يتصدق به، جاء إلى الرسول ﷺ فقال: «اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك»، فأمر رسول الله ﷺ مناديا فنادى ابن المتصدق بعرضه البارحة، فقام عليه، فقال الرسول ﷺ: «قد قبلت صدقتك»^(٢٩).

لقد كان علبه بن زيد واحدا من سبعة رجال من المؤمنين عرفوا بـ «البكائين»، أتوا رسول الله ﷺ يطلبون منه ما يخرجون عليه معه في هذه الغزوة، فلم يجد ما يحملهم عليه، فقتلوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون.

وأرسل جماعة من الأشعرين أبا موسى الأشعري إلى الرسول ﷺ يطلبون منه ما يركبونه، فكان في لحظة غضب، فلم يحصل لهم منه على شيء، فعاد إليهم حزينا. وبعد قليل أرسل الرسول ﷺ بلالا إلى أبي موسى، فجاءه، فأعطاه ستة أبعرة ابتاعهن من سعد لركبها مع أصحابه الأشعرين^(٣٠)، وفي رواية أنه أعطاهم خمس دُود عندما أتى بنهبِ إبل^(٣١).

(٢٧) مسلم (٤/٢١٢١ - ٢١٢٢/٢) ح (٢٧٦٩).

(٢٨) التفسير (١٤/٣٨٦) ح (١٧٠١٠/شاكرك) بإسناد حسن لغيره، لما له من شواهد ومتابعات ذكرها الطبري عند تفسير الآية المذكورة.

(٢٩) انظر ابن حجر: الإصابة (٢/٥٠٠) من حديث مجمع بن حارثة وعمرو بن عوف، وأبي عبيس، موصولا، وقد صححه الالباني في تعليقه على فقه السيرة للقرظي، ص ٤٣٩، وانظر الدراسة الوافية، عن هذا الخبر عند الدكتور السندي: الذهب المسبوك... الفصل (٢٣).

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/٢٣٨ - ٢٣٩) ح (٤٤١٥).

(٣١) البخاري/ الفتح (١٦/٢٢٣) ح (٤٣٨٥).

وذكرت بعض الروايات أنه نزل في البكائين والأشعرين قوله تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله، ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ (٣٢)(٣٣).

إنها صورة مؤثرة للرجبة الصحيحة في الجهاد على عهد الرسول ﷺ، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباته، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم من عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيره يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ عندما قال: «إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم. قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟! قال: وهم بالمدينة حسبهم العذر» (٣٤).

موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تشييط همم الناس، قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون...﴾ (٣٥)(٣٦).

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم - وهو في جهازه لتبوك - للجد بن قيس: «ياجد! هل لك العام في جلاذ بني الأصفر؟» فقال: «يا رسول الله او تأذن

(٣٢) التوبة: ٩١ - ٩٢.

(٣٣) انظر الطبري: التفسير (١٤/٤١٩ - ٤٢٣/شاکر)، وقد أورد عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، وأصح الأقوال أنها نزلت في أبي موسى الأشعري وأصحابه إذ أخرج ذلك أحمد في مسنده (٤/٣٩٨) بسند صحيح. وذكر ابن جرير أنرا بإسناد حسن: التفسير (١٤/٤٢٢/ح/١٧٠٨٦) بأنها نزلت في العرياض بن سارية، وقال السندي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٠، إنه لا مانع من أن تكون نزلت في جملة من البكائين ومنهم العرياض بن سارية.

(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٥٦/ح/٤٤٣٣).

(٣٥) التوبة: ٨١ - ٨٢.

(٣٦) ابن إسحاق، بإسناد مرسل من حديث أربعة من شيوخه الثقات وغيرهم - ابن هشام (٤/٢١٧). وقد روى هذا المتن من طرق أخرى صحيحة، كما قال الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ١٥٥. وانظر في ذلك: السيوطي: الدر المنثور (٣/٣٦٥)، والقرطبي: التفسير (٨/٢١٦)، والشوكاني: فتح القدير (٢/٣٧١)، والطبري: التفسير (١٤/٣٩٩ - ٤٠٠).

لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه مامن رجل بأشد عجا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر»، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: «قد أذنت لك»، ففيه نزلت الآية: ﴿وممنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني، ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ (٣٧)(٣٨).

وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدلين أعدارا كاذبة ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (٣٩)(٤٠).

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناسا منهم يجتمعون في بيت سُؤْلِم اليهودي يشبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سُؤْلِم (٤١).

ووصلت بهم الجرأة على الله ورسوله أن بينوا مسجداً قبيل غزوة تبوك ليجتمعوا فيه ويديروا حلقات تأمرهم على المسلمين، ويأملوا في مجيء أبي عامر الفاسق من عند الروم بجيش يغزو المدينة. وزعموا أنهم بنوه للمنتفعة والتوسعة على أهل الضعف والعلّة ومن عجز عن المسير إلى مسجد

(٣٧) التوبة: ٤٩.

(٣٨) رواه ابن إسحاق، معلقاً - ابن هشام (٤/٢١٦ - ٢١٧) والطبري: التفسير (١٤/٢٨٧ - ٢٨٨)، مرة من طريق ابن إسحاق وقد عنّته بإسناد منقطع وموقوف على أئمة شيوخه: الزهري وابن رومان وعبدالله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم، ومرة من طريق غيره بأسانيد. إنّ من مرسل قتادة، وسنده ضعيف، أو من مرسل مجاهد، وسنده ضعيف، أو من حديث ابن عباس وسنده ضعيف ورواه أبو نعيم وابن مردويه فيما عراه إليهما ابن حجر في الإصابة (١/٢٢٨) وضعف إسنادهما، والطبراني في الكبير (٢/٣٠٨) والأوسط، وفيه يحيى بن الحمان وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيتمي (٧/٣٠) وحديث الطبراني إذا عضده حديث الطبري عن ابن عباس، وورود هذه الآثار عن التابعين، يشعر بأنّ للحديث أصلاً، ولعل هذا الذي جعل الطبري يقول بأنّ الأخبار تظاهرت عن أهل التأويل ينزولها في الجند بن قيس، ويقول: فكفى بالجند بن قيس وأشكاله من المناقير يصل النار خزيًا. ولا يسلم له الأستاذ عذاب الحمش في كتابه: ثعلبة بن حاطب الصحابي المفترى عليه، ص ١٠١ - ١٠٢ بهذه النتيجة، وقال إن الجرم بنفاق الجند ابن قيس تسرع يرباً بنفسه عنه لأن الكباير لا تحمل صاحبها منافقا، إلا إذا عنى به النفاق العملي، علماً بأنّ ابن عبدالبر ذكر بصيغة التمريض أن الجند بن قيس تاب فحسنت توبته - الاستيعاب (١/٢٥١). قلت: وتهمة كهذه لا بد لها من إسناد ينجح به.

(٣٩) التوبة: ٤٣.

(٤٠) الطبري: التفسير (١٤/٢٧٣/شكر) من مرسل مجاهد بإسناد صحيح إليه.

(٤١) رواه ابن هشام بإسناد منقطع (٤/٢١٧ - ٢١٨). فهو ضعيف.

الرسول ﷺ للصلاة فيه، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه خداعا للناس، ولكن الله فضح حقيقة نواياهم عندما أنزل في هذا الآيات: ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون. لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه. فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهّرين﴾ (٤٢)(٤٣). فامتنع الرسول ﷺ عن الصلاة فيه، ثم أحرقه عندما عاد من تبوك، ومنعه الله من الصلاة على أمواتهم بعد أن صلى على عبدالله بن أبي بن سلول عقب عودته من تبوك، وذلك في قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره﴾ (٤٤)(٤٥).

وقد تخلف منهم جماعة كما ثبت في حديث كعب بن مالك في قوله: «فكنت إذا خرجت في الناس... أحزني أي لا أرى إلا رجلا مغموسا بنفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء...» (٤٦). وخرج بعضهم مع الرسول ﷺ لعلهم يتحنيون الفرص للتخذيل، كما سترى.

لقد استنفر الرسول ﷺ المسلمين للخروج في هذه الغزوة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنأقلمتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا إلا قليل﴾ (٤٧)، وكان تشاقلهم بسبب محبي وقت جني التمر وطيب ثمره

(٤٢) التوبة: ١٠٧ - ١٠٨.

(٤٣) من رواية الطبري: التفسير (١٤/٤٧٠ ح/١٧٨٧/شاكرك) بإسناد صححه الدكتور السندي: الذهب المسبوك، ص ٣١٦، وقال: «وقد احتج به أهل التفسير، ورجاله ثقات فاعدا المثنى وعبدالله ابن صالح»، وانظر الروايات في هذا عند السندي: الذهب المسبوك، ص ص ٣١٤ - ٣١٩، والطبري: التفسير (١٤/٤٦٨ - ٤٧٥).

(٤٤) التوبة: ٨٤.

(٤٥) البخاري/الفتح (٦/١٦٨ ح/١٢٦٩)، مسلم (٤/٢١٤١ ح/٢٧٧٤).

(٤٦) من حديث كعب بن مالك المتفق عليه، كما سيأتي ذكره، وقد سبق الإشارة إليه.

(٤٧) التوبة: ٣٨.

واشتهاء الظلال لشدة الحر^(٤٨)، وبعد المسافة ومشقة السفر، كما ذكرت الآية ﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون﴾^{(٤٩)(٥٠)}.

وتخلف عن الغزوة كثير من الأعراب والمنافقين، وعدد قليل من الصحابة من أهل الأعدار، وثلاثة ممن لم يكن لهم عذر عن الجهاد، وسيأتي ذكرهم.

موقف المؤمنين من الخروج إلى تبوك:

عندما كشف الرسول ﷺ للمسلمين عن وجهته خلافاً لما كان يفعل في مثل هذه الغزوات الكبيرة، ليتهيأ المسلمون إلى الجهاد^(٥١)، سارع المؤمنون إلى مرافقة الرسول ﷺ ولم ينظروا إلى ما سيلاقونه من مشقة، ولم تفتهم طبيبات الحياة الدنيا بالمدينة، فها هو علي بن أبي طالب لا يرضى أن يخلفه الرسول ﷺ في أهله، فيلحق بالرسول وهو نازل بالجرف ويقول: «يارسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟» فقال له الرسول ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»^(٥٢).

وها هو أبو خيثمة الأنصاري وقد سارع إلى حسم الصراع الدائر في نفسه بين البقاء والخروج، ثم يؤثر الخروج رغبة في ما عند الله، وفي ذلك يقول: «تخلفت عن رسول الله ﷺ، فدخلت حائطاً لي - بستانا - فرأيت عريشاً قد رش بالماء، ورأيت زوجتي فقلت: ما هذا بإنصاف، رسول الله ﷺ في

(٤٨) من مرسل مجاهد كما رواه الطبري في التفسير (١٣٣/١٠)، ورجاله ثقات، ولكن فيه عننة عبدالله ابن أبي نجيع الكمي وهو مدلس. وذكر الواقدي في المغازي (٩٩٠/٣) أن الرسول ﷺ أرسل رسلاً إلى القبائل يستنفرها للخروج إلى تبوك، ولا يستبعد ذلك لأن ظاهر الآية يدل على عموم الاستنفار لمن كان داخل المدينة أو خارجها، إضافة إلى أن الرسول ﷺ كان قد استنفر القبائل لفتح مكة كما ثبت في الصحيح، وذكرناه في مكانه.

(٤٩) التوبة: ٤٢.

(٥٠) انظر الطبري: التفسير (٢٧٢/١٤ - ١٦٧٦٠ - ١٦٧٦١) بإسناد حسن إلى قتادة، لكنه مرسل.

(٥١) من رواية البخاري/الفتح (٢٤٢/١٦) ح (٤٤١٨).

(٥٢) البخاري/الفتح (٢٤٠/١٦) ح (٤٤١٦) ومسلم (٤/١٨٧٠ - ١٨٧١) ح (٢٤٠٤) وغيرهما. وذكر الجرف عند ابن إسحاق، بإسناد مرسل - ابن هشام (٢٢١/٤). وهو موضع على بعد ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام - معجم البلدان (١٨٧/٢).

السموم والحرور، وأنا في الظل والنعيم، فقامت إلى ناضح لي وتمرات
فخرجت، فلما طلعت على العسكر فرأى الناس، قال النبي ﷺ: «كن أبا
خيثمة، فجئت فدعا لي» (٥٣).

ويروى أن أباذر عندما أبطأ عليه بعيره أخذ متاعه فحمله على ظهره ثم
خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشيا، وعندما نزل رسول الله ﷺ في بعض
منازله رأى أحد المسلمين رجلا يمشي وحده فأخبر الرسول ﷺ، فقال: «كن
أباذر»، فعندما وصل كان هو أباذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله
أباذر، يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده» (٥٤).

وعندما أقام أبوذر بالربذة في عهد عثمان (رضي الله عنه) لم يكن معه
أحد إلا امرأته وغلأمه، فأوصاهما بأن يغسلاه ويكفناه إذا مات، ثم يضعاه
على قارعة الطريق ويطلبوا الإعانة على دفنه من أول ركب يمر بهما، ففعلا،
ويومها أقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق عمارا، وكادت إبلهم أن
تطأ الجنازة، وقام إليهم الغلام، فقال: هذا أبوذر، صاحب رسول الله ﷺ
فأعينونا على دفنه، فبكى ابن مسعود وقال: «صدق رسول الله ﷺ: تمشي
وحدك وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم نزل هو وأصحابه فدفنوه، ثم

(٥٣) أخرجه الطبراني كما قال ابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦)، ابن إسحاق، مراسلا - ابن هشام
(٢٢٢/٤)، وابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦)، الواقدي (٩٩٨/٣ - ٩٩٩)، والحديث من هذه
الطرق ضعيف ولكن يشهد له ورود بعض القصة في صحيح مسلم في أثناء قصة كعب
الزهرى: مالك بن قيس كما ذكر ابن حجر في الفتح (٢٤٤/١٦).

(٥٤) رواه الحاكم في المستدرک (٥٠/٣ - ٥١) وصححه ووافقه الذهبي، ثم قال: «وفيه إرسال»،
والبيهقي في الدلائل من طريق ابن إسحاق وقد ضرح بالسباع، وفي سنده بريدة بن صفيان،
وفيه كلام، انظر: ميزان الاعتدال (٣٠٦/١)، ورواه ابن كثير في البداية (١٠/٥ - ١١) من
هذا الطريق وحسنه. وقد ساق خبر إبطاء بعيره به وخبر موته ساقا واجدا. وفي سيرة ابن هشام
ذكر ابن إسحاق خبر الإبطاء معلقا وساق خبر الوفاة بمثل إسناد البيهقي وابن كثير.

وروى خبر الوفاة أحمد في المسند: الفتح الرباني (٣٧٤/٢٢ - ٣٧٥) - من غير طريق ابن
إسحاق، مع اختلاف يسير عن رواية الحاكم. قال الهيثمي في المجمع (٣٣٢/٩): زواه أحمد
من طريقين أحدهما هذه والأخرى مختصرة عن إبراهيم بن الأشتر عن أم ذر، ورجال الطريق
الأول رجال الصحيح. قال محققا سيرة ابن هشام: «ولولا ابن الأشتر لكان سند الثانية حسنا»،
وهو ممن لم يوثقه غير ابن حبان - انظر: تعجيل المنفعة، ص ٢٠.

ورواه ابن سعد (٢٣٢/٤/٤ - ٢٣٤) بمثل رواية أحمد، وحسنه الدكتور السندي: الذهب
المسبوك، ص ٣٠٧، ٣٠٩.

والخلاصة: إن السندي ومحققا سيرة ابن هشام قد حسنا سند خبر الوفاة لطرقه، فانظرهم

حدثهم حديثه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك^(٥٥). وهذه معجزة من معجزات الرسول ﷺ الكثيرة في هذه الغزوة وغيرها كما هو معلوم.

عدد الصحابة في جيش تبوك:

تباينت الروايات في ذلك. ففي رواية معقل عن كعب بن مالك، قال: «وغزا رسول الله ﷺ بناس كثير يزيدون على عشرة آلاف، ولا يجمعهم ديوان حافظ^(٥٦)». وفي رواية أخرى عنه: «المسلمون مع رسول الله كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد بذلك الديوان^(٥٧)». وقال ابن حجر^(٥٨): «وللحاكم في الإكليل من حديث معاذ: خرجنا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً، وهذا العدد جزم ابن إسحاق». وروى الواقدي^(٥٩) عن زيد بن ثابت أنهم كانوا ثلاثين ألفاً، وفي رواية أخرى له: «وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً ومن الخيل عشرة آلاف فرس^(٦٠)»، وقد نقل عن أبي زرعة الرازي أنهم كانوا أربعين ألفاً^(٦١)، وقال ابن حجر^(٦٢) في تعليقه على بعض هذه الروايات: «فتحمل رواية معقل عن كعب على إرادة عدد الفرسان». وقال أبوزرعة الرازي: «وكانوا سبعين ألفاً». وجمع بعض الأئمة بين قوله وقول ابن إسحاق بأن أبازرعة عد التابع والمتبوع، وابن إسحاق عد المتبوع فقط^(٦٣).

والمشهور والراجح أن جيش تبوك كان ثلاثين ألفاً، وهو ما اتفق عليه

(٥٥) انظر الحاشية نفسها.

(٥٦) مسلم (٤/٢١٢٩/ح ٢٧٦٩).

(٥٧) مسلم (٤/٢١٢١/ح ٢٧٦٩).

(٥٨) الفتح (١٦/٢٤٢) ولا توجد رواية ابن إسحاق في المطبوع المتداول والمحمول - انظر في هذا

السندي: الذهب المسووك، ص ١٧٨.

(٥٩) المغازي (٣/٩٩٦).

(٦٠) المغازي (٣/١٠٠٢) بإسناد له عن شيوخه، ابن سعد (٢/١٦٦) من رواية شيخه الواقدي.

(٦١) قاله ابن حجر في الفتح (١٦/٢٤٢).

(٦٢) الفتح (١٦/٢٤٢).

(٦٣) انظر: تاريخ ابن أبي خيثمة - الجزء الخمسون - ص ١٢٣.

أئمة المغازي والسير: ابن إسحاق والواقدي وابن سعد، وليس هناك تعارض مع ماجاء في الصحيح، والله أعلم.

المتخلفون عن غزوة تبوك:

لقد تخلف عن غزوة تبوك، من غير ذوي الأعدار والمنافقين، ثلاثة من خيار الصحابة، وهم: كعب بن مالك ومُرارة بن الربيع العُمري، وهلال بن أمية الواقفي، فقد غلبهم التسويف والميل إلى الراحة. وروى كعب (رضي الله عنه) قصته في هذا التخلف، في حديث طويل، رواه البخاري^(٦٤) ومسلم^(٦٥) وغيرهما، وجاء فيه:

«كان من خبري أي لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة... وطفقت أغدو لكي أتجهز مع المسلمين، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتهادى بي حتى اشتد بالناس الجد ولم أقض من جهازي شيئاً. ولم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزوا - أي فاتوا - وهممت أن أرتحل فأدركهم. فياليتني فعلت. فلم يقدر لي ذلك. فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفقت فيهم، أحزنتني أي لا أرى إلا رجلاً مغموساً بنفاق أو رجلاً من عذر الله من الضعفاء... ولما بلغني أنه توجه قافلاً حتى حضرني همي، فطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا سأخرج من سخطه غداً؟!... واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، ولما قيل إن رسول الله ﷺ قد أقبل، زاح عني الباطل وأجمعت أن أصدقه، فجنثته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضب، ثم قال: تعال، فجنثت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب

(٦٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٤١ - ٢٥٢/ح ٤٤١٨).

(٦٥) مسلم (٤/٢١٢٠ - ٢١٢٨/ح ٢٧٦٩).

ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله. والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال رسول الله ﷺ: أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك. فقممت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني يؤنبونني (أي يعتبون عليه أنه لم يعتذر كالأخرين) فقلت لهم: هل لقي هذا معي أحدا؟ فقالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما؟ فقالوا: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية. فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدر^(٦٦) لي فيهما أسوة... ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أي الثلاثة - فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت لي الأرض، فما هي بالتي أعرفها. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتها يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه أسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني. وبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نَبَطِي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدلي علي كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك عَسَّان، فإذا فيه: «أما بعد فإنه قد بَلَغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يَجْعَلْكَ الله في دار هوان ولا مَضِيعَةَ، فالحق بنا نواسك»، فقلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتميمت بها التور فسجرت بها. حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل

(٦٦) قال ابن القيم في زاد المعاد (٥٧٧/٣): «هذا الموضع مما عد من أوهام الزهري راوي هذا الخبر، فإنه لا يحفظ عن أحد من أهل المغازي والسير البتة ذكر هذين الرجلين في أهل بدر... قلت: ذكر ابن حجر في الإصابة (٦٠٧/٤) أن هلال بن أمية شهد بدر، وأن مرارة بن الربيع كذلك شهدا على الصحيح: الإصابة (٣٩٦/٤) وابن حجر ليس من أهل المغازي والسير.

اعتزلها ولا تقرها، وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك. فقلت لامرأتي: الحقّي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ حتى كملت لي خمسون ليلة من حين نهي رسول الله ﷺ عن كلامنا. فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا. فيينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله «قد ضاقت علي نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: ياكعب بن مالك أبشر. فخررت ساجدا، وعرفت أنه قد جاء فرج، وأذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يشروننا، وذهب قبل صاحبيّ مشرون... ولما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبيّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرها يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ، فتلقاني الناس فوجا فوجا يهتفون بالتوبة. فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك. قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: لا بل من عند الله. فقلت يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله. قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مابقيت. وأنزل الله تعالى على رسوله ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ إلى قوله ﴿وكونوا مع الصادقين﴾... وكنا تخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه. فبذلك قال الله تعالى ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه». وجاء في حديث كعب هذا أن الذين تخلفوا عن هذه الغزوة كانوا بضعة وثمانين رجلا، اعتذروا للرسول ﷺ عن تخلفهم فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم إلى الله، ويتطابق هذا العدد مع ما ذكره

الواقدي^(٦٧)، وقد زاد الواقدي، بأن المعذرين من الأعراب كانوا أيضا اثنين وثمانين رجلا من بني غفار وغيرهم، وأن عبدالله بن أبي بن سلول ومن تابعه من قومه كانوا من غير هؤلاء، وكانوا عدداً كثيراً، وروى هو وابن سعد^(٦٨) وابن إسحاق^(٦٩) أن ابن أبي خرج حتى وصل جبل ذباب بالمدينة ومعه حلفاؤه من اليهود والمنافقين، فكان يقال: ليس عسكر ابن أبي بأقل العسكرين، فلما سار الرسول ﷺ تخلف عنه فيمن تخلف من المنافقين، وكل هذا لم يثبت بطرق صحيحة.

وكان من يتخلف يظن أن لا أحد يتفقدده لكثرة أفراد الجيش، ولكن الرسول ﷺ تفقد وهو في طريقه إلى تبوك بعض من تخلف، فقد سأل أبا رهم كلثوم بن حصين الغفاري عن من تخلف من بني غفار وأسلم^(٧٠)، وعندما وصل تبوك سأل عن كعب بن مالك^(٧١).

المسلمون في تبوك:

قيل إن الرسول ﷺ خطب الناس خطبة طويلة في تبوك، قال فيها: «أيها الناس، أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير المثل ملة إبراهيم، وخير السنن سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وأحسن الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الموت قتل الشهداء، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهدى ما اتبع،

(٦٧) المغازي (٣/٩٩٥). والواقدي متروك في الحديث مع سعه علمه، فأسانيده ضعيفة.
(٦٨) الطبقات (٢/١٦٥). من رواية شيخه الواقدي. والواقدي متروك، فأسانيده ضعيفة.
(٦٩) ابن هشام (٤/٢١٩) بإسناد مرسل، وساق هو والواقدي وابن سعد هذه الجزئية بصيغة التصريح، مما يدل على عدم قبولهم لها. ولم أن يشكوا في هذا خاصة ذكر اليهود وبهذا العدد الذي لا يتماشى مع منطلق الأحداث التي وقعت بين المسلمين واليهود. ويستبعد أن يكون لهم وجود يذكر دلك من أن تكون لهم مثل هذه الشوكة والعداء والتخذيل السافر، إضافة إلى أن الخبر لم يأت بطرق صحيحة.
(٧٠) من رواية ابن إسحاق، موصولا من حديث الزهري، ولم يصرح فيه ابن إسحاق بالسباع، وفيه ابن أخي أبي رهم الذي لم يعرفه أفيشمي كما في المجمع (٦/١٩٢) - انظر: ابن هشام (٤/٢٣٤) - (٢٣٦)، ووردت من طريق معمر عن الزهري كما في موارد الظن، ص ٤١٨، فبذلك تقوى الرواية إلى الحسن لغيره كما قال السندي: الذهب المسبوك، ص ٢٤٥.
(٧١) البخاري/ الفتح (١٦/٢٤٤ ح ٤٤١٨).

وشر العمى عمى القلب...» (٧٢).

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد الى أكيدر دومة الجندل فأخذه، فأتوا به إني النبي ﷺ فحقن له دمه وصالحه على الجزية (٧٣).

وعندما أخذه كان يصيد البقر خارج حصنه، وهي الهية التي ذكرها الرسول ﷺ لخالد - أنهم سيجدونه عليها (٧٤). وقد تعجب المسلمون من قيامه كان يلبسه أكيدر، واستلبه منه خالد وأرسله إلى النبي ﷺ، فقال لهم النبي ﷺ: أتعجبون من هذا؟ فالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا (٧٥).

وفي الصحيح أن أكيدر أهدى رسول الله ﷺ حلة من حرير (٧٦)، فعجب الناس منها، فقال: «والذي نفس محمد بيده...» الحديث بمثل ما عند ابن إسحاق. والراجح أن حصول الرسول ﷺ على الحلة كان عن طريق الإهداء كما في الصحيح وليس عن طريق الاستلاب كما ذكر ابن إسحاق. ويؤيد ذلك ما رواه أبو يعلى بإسناد قوي أنه لما قدم أكيدر أخرج قباء من ديباج منسوجا بالذهب فرده النبي ﷺ عليه، ثم إنه وجد في نفسه من رد

(٧٢) انظرها في أحد: المسند (٣٧/٣)، أبو عبيد: الأموال، ص ٢٥٥ - ٢٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية (١٥/٥ - ١٦)، وفي إسناد أحمد وأبي عبيد: أبو الخطاب المصري - مجهول، وفي إسناد ابن كثير: عبد العزيز بن عمران - متروك.

(٧٣) من رواية أبي إسحاق عن عاصم عن أنس كما ذكر ابن حجر في الإصابة (٤١٣/١). في ترجمة خالد بن الوليد. والحديث يتقوى بالشواهد. وقد ثبت له شاهد من حديث ابن إسحاق الذي ذكرناه بعد هذا مباشرة. ورواه ابن إسحاق بنفسه سند أبي إسحاق، وقد صرح بالسماع، فيكون حسنا - انظر: ابن هشام (٢٣٢/٤). وهو شاهد على حديث أبي إسحاق.

(٧٤) من رواية ابن إسحاق، مرة معلقا ومطولا - ابن هشام (٢٣١/٤) ومرة موصولا ومختصرا بإسناد حسن - ابن هشام (٢٣٢/٤).

(٧٥) روى ابن إسحاق قصة أسرته بإسناد معلق، وروى قصة القدوم بقباء أكيدر وتعجب المسلمين منه، وحديث الرسول ﷺ في ذلك، رواه بإسناد حسن - ابن هشام (٢٣١/٤ - ٢٣٢)، ورواه ابن هزيمة عن أبي الأسود عن عروة مرسلا وليس فيه حديث مناديل سعد وفيه اختلاف يسير، والترميمي: السنن (٤٥/٦). ك. اللباس/ ب. ماجاء في الرخصة في لبس الحرير/ (١٧٢٣) من غير طريق ابن إسحاق، وقال: «هذا حديث صحيح»، ورواه بمثله الترمذي في سننه (١٩٩/٨). ك. الزينة/ ب. لبس الديباج المنسوج). وفي لفظه: «وأنه بعث إلى النبي ﷺ حلة من ديباج منسوج فيها الذهب، فلبسها... الحديث هكذا مبني على الجهول، ولم يذكر أنها حلة أكيدر، والرواية تخالف الصحيح من الأحاديث في حرمة لبس الذهب والحرير. أما حديث الرسول ﷺ عن مناديل سعد فقد رواه الشيخان كما في الحواشي الآتية.

(٧٦) البخاري/ الفتح (٢٧٥/١٤) ح/ (٣٨٠٢)، ومسلم (٤/١٩١٧ - ١٩١٨) ح/ (٢٤٦٨، ٢٤٦٩).

هديته فرجع به، فقال له النبي ﷺ: «ادفعه إلى عمر» الحديث^(٧٧). وفي رواية عند البخاري أن الرسول ﷺ لم يعطها عمر ليلبسها، ولذا كساها عمر لأخ له كان بمكة مشركا^(٧٨). وفي رواية عن علي أنه أهدى إلى النبي ﷺ حلة سبراء فلبسها فرأى الغضب في وجه النبي ﷺ. فشقها بين نساءه^(٧٩).

ويفهم من مجموع هذه الأحاديث أن الحلة التي أهديت إلى الرسول ﷺ ليست واحدة^(٨٠) وأن الرسول ﷺ والصحابة لم يكونوا يلبسون الحرير، لأن ذلك محرم بالأحاديث الصحيحة كما هو معروف.

وقيل إن الرسول ﷺ أرسل خالدا إلى أكيدر في أربعمئة وعشرين فارسا، وأن غنائمه كانت ثمانمائة من السبي وألف بغير وأربعمئة درع وأربعمئة رمح^(٨١).

روى البخاري^(٨٢) أن الرسول ﷺ عندما كان بتبوك جاءته هدية ملك أيلة، وهي بغلة بيضاء، وكساه بردا^(٨٣)، وصالحه على الجزية.

وأتاه أهل جَرْنَاءٍ وَأَذْرُحَ، فأعطوه الجزية، فكتب لهم كتابا، فهو عندهم^(٨٤). وفي ذات يوم من أيام تبوك تخلف رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر لحاجة، وعندما انتهى إلى مكان المسلمين كانوا، قد قدموا عبدالرحمن بن عوف إماما لهم وشرعوا في الصلاة، فصل رسول الله ﷺ خلف ابن عوف ثم أكمل صلاته^(٨٥).

(٧٧) قاله ابن حجر في الفتح (٤٣/١١) شرح الحديث (٢٦١٥)، ورواه الذهبي في مغازيه، ص ٦٤٦.

(٧٨) البخاري/الفتح (٤٠/١١) ح/٢٦١٢ و (٤٥/١١) ح/٢٦١٩ واسم هذا الأخ عثمان بن حكيم، انظر ابن حجر: الفتح (٤٥/١١).

(٧٩) البخاري/الفتح (٤١/١١) ح/٢٦١٤.

(٨٠) انظر في ذلك بالذات: البخاري/الفتح (٤٠/١١) ح/٢٦١٢.

(٨١) من رواية ابن لبيبة عن أبي الأسود عن عروة، وهو عرسل وفي إسناده ابن لبيبة - صدوق. انظر ابن كثير: البداية (٢٠/٥).

(٨٢) البخاري/الفتح (٢٥٤/١٢) ح/٣١٦١، واسم ملك أيلة بخت بن روية كما ذكر أهل السير - انظر: ابن إسحاق - ابن هشام (٢٣٠/٤ - ٢٣١)، الواقدي (١٠٣١/٣).

(٨٣) قال ابن حجر في الفتح (٢٥٤/١٢) شرح الحديث (٣١٦١) إن فاعل كسا هو النبي ﷺ.

(٨٤) ابن إسحاق - معلقا - ابن هشام (٢٣٠/٣).

(٨٥) مسلم (٢٣٠/١ - ٢٣١) ح/٢٧٤ ولم يذكر أن ذلك كان في تبوك، وذكر غيره أنه في تبوك، انظر - مثلا: مالك الموطأ (١٥٧/١ - ١٥٨) وأحمد: المسند (٢٩٣/٣) و (٢٤٤/٤ - ٢٤٧ -

٢٤٩) (٢٥١)، أبوداود: السنن (١٠٣/١ - ١٠٤) ك. الطهارة ب. المسح على الخفين/ح (١٤٩)،

ابن سعد (١٢٨/٣ - ١٢٩) بإسناد رجاله ثقات ولكن في تحديد زمان ومكان الواقعة سأل ابن

سعد شيخه الواقدي فأفاده أنها في تبوك.

ويروى أن الرسول ﷺ أرسل دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل، وهو بتبوك، وأن هرقل أرسل التَّوْخِي ليعترف له على بعض علامات نبوة محمد ﷺ^(٨٦). ولو ثبت هذا فيكون إرسال دحية للمرة الثانية الرجوع إلى المدينة:

لم يلق الرسول ﷺ حرباً من الأعداء، فرجع إلى المدينة منتصراً، بعد أن أقام بتبوك عشرين ليلة^(٨٧). وفي الطريق أتوا على الحجر من ديار ثمود، الذين غضب الله عليهم لعصيانهم أمره بعدم ذبح ناقة نبي الله صالح^(٨٨)، وعندما سارع الناس إلى دخول مساكن أهل الحجر، نهاهم الرسول ﷺ^(٨٩)، وقال لهم: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين»، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي^(٩٠)، وعندما نزلوا الحجر استقوا من آبارها وعجنوا من مائها العجين، فهاهم عن ذلك، وأمرهم بطرح ذلك العجين للإبل وبهرقوا ذلك الماء، وأن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة^(٩١).

وعندما اشتكى المسلمون إلى النبي ﷺ ما أصاب إبلهم من الإجهاد، دعا الله أن ينشطها، فنشطت بهم حتى بلغوا المدينة^(٩٢).

وحاول جماعة من المنافقين المشتمين أن يطرحوا الرسول ﷺ عن راحته من رأس عقبة بالطريق، في عتمة من الليل، فشرع بمؤامرتهم، فأمر بإبعادهم عنه^(٩٣). فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة، خرج الصبيان إلى

(٨٦) أحمد: المسند (٢٠٣/١)، (٤٤٢/٣)، (٧٤/٤)، (٢٩٢/٥)، قال ابن كثير في البداية (١٩/٥) عن هذا الحديث: «هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد» وقال السندي: الذهب المسبوك، ص ٣٢٨: «إسناده جيد، وفيه سعد بن أبي راشد - مقبول، وعبدالله بن خنيس - صدوق، ويحيى بن سليم - صدوق، وإسحاق بن عيسى - صدوق».

(٨٧) موارد الظمان، ص ١٤٥، بإسناد صحيح.

(٨٨) البخاري/ الفتح (١١٧/١٣ - ١١٨/١١٨ ح/٣٣٧٧)، ومسلم (٢٢٨٥/٤ - ٢٢٨٦/٢٢٨٦ ح/٢٩٨٠).

(٨٩) أحمد: المسند (٢٣١/٤) وأورده ابن كثير البداية (١٣/٥)، وقال: «إسناده حسن ولم يخرجوه».

(٩٠) البخاري/ الفتح (١١٩/١٣ ح/٣٣٧٨)، مسلم (٢٢٨٦/٤ ح/٢٩٨١).

(٩١) البخاري/ الفتح (١١٩/١٣ ح/٣٣٧٨ - ٣٣٧٩)، مسلم (٤٠/٤ ح/٢٩٨١).

(٩٢) أحمد: المسند (٢٠/٦) بإسناد حسن، وموارد الظمان، ص ٤١٨.

(٩٣) أحمد: المسند (٢٧٧٧٩ ح/٢١٤٤/٤) من حديث حذيفة عنهم، وروى من طريقين آخرين ضعيفين - انظر

البيهقي: دلائل النبوة (٢٥٦/٥ - ٢٥٩).

ثنية الوداع لتلقيه^(٩٤)، ومعهم النساء والولائد يقلن:

طلع البدر علينا * من ثيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع^(٩٥)

وكان أول ما فعله الرسول ﷺ عند دخوله المدينة أن صلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس فجاهه المنافقون المتخلفون عن الغزوة فاعتذروا بشتى الأعذار، فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكّل سرائرهم لله^(٩٦)، وجاءه الثلاثة المخلفون، وكان من خبرهم ما سبق ذكره.

وقففة مع بعض الآيات التي نزلت بمناسبة غزوة تبوك:
نزول القرآن حول أحداث موقعة تبوك:

نزلت آيات كثيرة من سورة براءة - التوبة - حول موضوع هذه الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج وهو مسافر، وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة. وقد اشتملت على ذكر ظروف الغزوة، وفضح المنافقين، وفضل المجاهدين المخلصين، وقبول التوبة من المؤمنين الصادقين، الخارجين منهم في الغزوة والمتخلفين.

١ - قال تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، عسى الله أن يتوب عليهم، إن الله غفور رحيم﴾^(٩٧)

قال الطبري^(٩٨): «وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الآية، والسبب الذي من أجله أنزلت فيه. فقال بعضهم: نزلت في عشرة أنفس كانوا تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، منهم أبولبابة،

(٩٤) البخاري/ الفتح (١٦/٢٥٩ ح/ ٤٤٢٦ - ٤٤٢٧).

(٩٥) قاله ابن حجر في شرح الحديثين المذكورين (٤٤٢٦ - ٤٤٢٧): «وقد روينا بسند منقطع في الحلييات قول النسوة لما قدم النبي ﷺ المدينة: طلع البدر علينا... فقيل كان ذلك عند قدومه من الفجرة وقيل عند قدومه من غزوة تبوك». وانظر الكلام على هذه المسألة في مكانها من حديث الهجرة.

(٩٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٤٤ - ٢٤٥ ح/ ٤٤١٨)، مسلم (٤/٢١٢٣ ح/ ٢٧٦٩).

(٩٧) التوبة: ١٠٢.

(٩٨) التفسير (١٤/ ٤٥٣ - ٤٤٦) شاكس.

فربط سبعة منهم أنفسهم إلى سواري المسجد عند مقدم النبي ﷺ من تبوك، توبة منهم من ذنبهم... وقال آخرون: الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية... وقال آخرون: كانوا سبعة... وقال آخرون: بل نزلت في أبي لبابة بسبب تخلفه عن تبوك. وقال بعضهم: عني هذه الآية الأعراب... وذكر الطبري المرويات فيمن قال بكل قول من الأقوال المذكورة... وكلها روايات لا تقوم بها الحجة حسب دراسة الدكتور السندي (٩٩) لها، ولذا قال الطبري (١٠٠): «وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك، قول من قال: نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ، وتركهم الجهاد معه، والخروج لغزو الروم، حين شخص إلى تبوك، وأن الذين نزل فيهم ذلك جماعة، أحدهم أبولبابة... فقد تبين أن هذه الصفة لم تكن إلا لجماعة فعلت ذلك، فيما نقله أهل السير والأخبار وأجمع عليه أهل التأويل، إلا جماعة من المتخلفين عن غزوة تبوك... منهم أبولبابة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك».

٢ - قال الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل:

أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ (١٠١).

لقد روى الطبري (١٠٢) عدة آثار في سبب نزول هذه الآية، منها أثر صحيح عن ابن عمر مضمونه أن رجلا قال في مجلس في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لاخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك النبي ﷺ، ونزل القرآن، قال ابن عمر: فأنا رأيت متعلقا بحقب ناقه رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول:

(٩٩) الذهب المبيوك، ص ١١٢ - ١٢٣.

(١٠٠) التفسير (١٤/٤٥٣/ شاكراً).

(١٠١) التوبة: ٦٥.

(١٠٢) التفسير (١٤/٢٣٣/ أثر رقم ١٦٩١٢) بإسناد صحيح.

يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم». واستدل بعضهم بهذه الآية على أن الجدل واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء ولا خلاف بين الأئمة في ذلك^(١٠٣).

ويقول الله تعالى تعقيباً على ما صدر من هذا الرجل ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، إن نعف عن طائفة منكم نغذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾^(١٠٤).

إن أصح ما روي في تفسير هذه الآية أن الذي عُفِيَ عنه هو محشي ابن حمر الأشجعي، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع^(١٠٥).

معجزات وقعت للرسول ﷺ في أحداث تبوك:

(١) شكا الصحابة (رضي الله عنهم) إلى النبي ﷺ ما برواحلهم من جهد، فأمر أن يمرروا بها عليه عند مكان ضيق، فأخذ ينفخها ويقول: «اللهم احمل عليها في سبيلك إنك تحمل على القوي والضعيف وعلى الرطب واليابس في البر والبحر»، فما بلغوا المدينة حتى جعلت تنازعهم أزمتهما، فقال الراوي - فضالة بن عبيد الأنصاري: «هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف، فما بال الرطب واليابس، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرص في البحر، فلما رأينا السفن في البحر وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ»^(١٠٦).

(٢) روى الواقدي عدة آثار عن معجزات وقعت للرسول ﷺ ضمن أحداث غزوة تبوك، ولكن كلها ضعيفة، مثل الحية التي اعترضت سبيل

(١٠٣) انظر - مثلاً ابن الجوزي: زاد المسير (٣/٤٦٤ - ٤٦٥).

(١٠٤) التوبة: ٦٦.

(١٠٥) من رواية ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب بن مالك بإسناد حسن كما جاء عند السيوطي: الدر المنثور (٣/٢٥٤)، وعن بقية التفسيرات انظر السيوطي: الدر المنثور، والطبري: التفسير (١٤/٣٣٦ - ٣٣٧)، وابن كثير: التفسير (٤/١١٢).

(١٠٦) أحمد المسند (٦/٢٠) بإسناد حسن.

المسلمين في غزوة تبوك^(١٠٧)، ومعجزة نبع الماء من أصابعه^(١٠٨)، ومعجزة تكثير الطعام^(١٠٩).

٣) وكذلك روى السيوطي آثاراً عن معجزات وقعت للرسول ﷺ وكلها ضعيفة، مثل نزول المطر بدعاء الرسول ﷺ في غزوة تبوك^(١١١)، ولقاء إلياس (عليه السلام) بالرسول ﷺ في هذه الغزوة^(١١٢).

وكل هذه المعجزات التي وردت عند الواقدي والسيوطي بأسانيد ضعيفة وقع مثلها بأسانيد صحيحة جاء ذكرها في ثنايا هذا الكتاب، اللهم إلا قصة إلياس (عليه السلام)، فهي لم ترد من قبل بإسناد صحيح أو سقيم.

الأحكام والفوائد والدروس المستنبطة من أحداث غزوة تبوك:

١ - إن في صلاة النبي ﷺ خلف عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه) تكريماً لأحد أصحابه، ودليلاً على جواز إمامه المفضول وصلاة الأفضل خلفه.

٢ - سأل معاذ بن جبل (رضي الله عنه) الرسول ﷺ عن عمل يدخله الجنة، وهم في طريق العودة من تبوك، فأجابه الرسول ﷺ بأن رأس هذا الأمر الشهادة وقوامه الصلاة والزكاة وذروة سنامه الجهاد^(١١٣).

٣ - كان الرسول ﷺ يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وبين صلاتي المغرب والعشاء^(١١٤).

٤ - سئل النبي ﷺ عن سترة المضلي، فأجاب بأنها مثل مؤخرة الرجل^(١١٥).

٥ - أقام ﷺ بتبوك عشرين ليلة يقصر الصلاة^(١١٥). وهذا استدل العلماء

(١٠٧) المغازي (١٠٠٨/٣ - ١٠١٥) بإسناد موضوع.

(١٠٨) المصدر نفسه (١٠٤٠/٣ - ١٠٤٢).

(١٠٩) المصدر نفسه (١٠١٧/٣ - ١٠١٨).

(١١٠) الخصائص الكبرى (١٠٦/٢).

(١١١) المصدر نفسه (١٠٩/٢) بإسناد موضوع ومتن منكر.

(١١٢) أحمد: المسند (٢٤٥/٥ - ٢٤٦) بإسناد حسن.

(١١٣) الزرقاني: شرح موطأ مالك (٥٥/٢ - ٥٨).

(١١٤) النسائي: السنن (٦٢/٢) ك. القبلة/ب. سترة المصل (إسناد صحيح).

(١١٥) الهيثمي: موارد الظن إلى زوائد ابن حبان، ص ١٤٥. بإسناد صحيح.

على جواز القصر مادام المرء في حالة سفر ولم ينو الإقامة، وانظر الفقرة ١٧ بعد قليل.

٦- قال ﷺ عن جلد الميتة: «بأغها طهورها» وذلك عندما طلب ماء من بيت بتبوك فأتي له به في قربة من جلد فشرب^(١١٦).

٧- أهدر الرسول ﷺ ثنية رجل عض يد رجل آخر فانتزعها بقوة ومعها الثنية^(١١٧).

٨- جواز الهجر أكثر من ثلاث ليالٍ لسبب شرعي كما في أمر الرسول ﷺ بمقاطعة الذين خلفوا لمدة خمسين ليلة.

٩- إن من يمر بديار المغضوب عليهم والمعذبين، لا ينبغي له أن يدخلها، ولا أن يقيم بها، بل عليه أن يسرع، ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكيا معتبرا، كما فعل الرسول ﷺ وأمر به عندما مر بديار ثمود بالحجر، وكما فعل في وادي محسر بين منى وعرفة، فإنه المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه^(١١٨).

١٠- تصريح الإمام للرعية، وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه ليتأهبوا له، وجواز ستر غيره عنهم والكناية عنه للمصلحة، كما فعل الرسول ﷺ في أمر الإعلام بوجهته حين عزم على غزوة تبوك^(١١٩).

١١- إذا استنفر الإمام الناس للجهاد لزمهم النفي جميعا، ولا يشترط في وجوب ذلك تعيين كل واحد منهم بعينه، وهو أحد المواضع الثلاثة التي يصبح فيها الجهاد فرض عين، والثاني: إذا حضر العدو البلد، والثالث إذا حضر بين الصفيين^(١٢٠).

١٢- وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، وهذه إحدى روايتي أحمد، قال ابن القيم^(١٢١): «وهو الصواب الذي لا ريب فيه».

(١١٦) أبوداود: السنن (٤/٣٦٨ - ٣٦٩) ك. اللباس/ب. في اهب الميتة/ح (٤١٢٥) بإسناد حسن.

(١١٧) البخاري/الفتح (١٦/٢٤٠/ح (٤٤١٧)، سلم (٣/١٣٠٠ - ١٣٠١/ح (١٦٧٣ - ١٦٧٤).

(١١٨) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٦٠).

(١١٩) انظر: المرجع نفسه (٣/٥٥٨).

(١٢٠) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

(١٢١) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

- ١٣ - إن في قول الرسول ﷺ لعثمان (رضي الله عنه) عندما رأى سخاء بذله: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم» منقبة كبرى لعثمان تضاف إلى مناقبه الأخرى الكثيرة والتي أعظمها البشرى له بالجنة.
- ١٤ - إن العاجز عن الجهاد والذي لا حرج عليه إذا تخلف عنه هو الذي يبذل جهده ويتحقق عجزه، كما في حالة الذين جاءوا يسألون الحملان فلم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه، فرجعوا ليكون لما فاتهم من شرف وأجر الجهاد.
- ١٥ - مشروعية استخلاف الإمام، إذا سافر، رجلا من الرعية على الضعفاء والنساء والذرية، كما في حالة علي (رضي الله عنه)، ويكون نائبه من المجاهدين وهي خلافة خاصة، أما الاستخلاف العام والخاص بالشؤون الأخرى فكان لمحمد بن مسلمة (١٢٢).
- ١٦ - لا يجوز شرب ماء آبار ثمود ولا الطبخ منه ولا العجن به، ولا الطهارة به، ويجوز أن يسقى منه البهائم، إلا ما كان من بئر الناقة، فيجوز الاستفادة من مائها في كل شيء (١٢٣).
- ١٧ - أقام النبي ﷺ عشرين يوما يقصر الصلاة، ولم يقل للأمة: لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت إذا كان غير مستوطن ولا عازم على الإقامة بذلك الموضع، وكان ذلك عمل بعض أئمة السلف مثل سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأنس بن مالك وعبدالرحمن بن سمرة، وهو الصواب كما قال ابن القيم (١٢٤).
- ١٨ - إن من مراتب الجهاد الأربعة: الجهاد بالقلب، كما في حال الذين حبسهم العذر وقال عنهم الرسول ﷺ: «إن بالمدينة أقواما... الحديث» والمرتبة الأخرى: اللسان، والمال، والبدن، كما في الحديث:

(١٢٢) و (١٢٣) المرجع نفسه، ص ٥٦٠.
 (١٢٤) المرجع نفسه، ص ٥٦١ - ٥٦٣. وانظر فيه اختلاف السلف والخلف في ذلك، ص ص ٥٦١ - ٥٦٢، ٥٦٣ - ٥٦٥.

«جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم» (١٢٥).

١٩ - جواز إحراق وهدم أمكنة المعصية، كما فعل الرسول ﷺ بمسجد الضرار.

٢٠ - جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، كما في رواية كعب لقصة تخلفه عن غزوة تبوك.

٢١ - جواز مدح الإنسان نفسه بما فيه من الخير، إذا لم يكن ذلك على سبيل الفخر والترفع، كما فعل كعب (رضي الله عنه).

٢٢ - إن بيعة العقبة الكبرى كانت من أفضل مشاهد الصحابة، حتى إن كعبا كان لا يراها دون مشهد بدر.

٢٣ - لا ينبغي للإمام أو المطاع أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب، كما فعل الرسول ﷺ عندما سأل عن كعب بتبوك.

٢٤ - إن رسول الله ﷺ كان يقبل علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكفل سريرته إلى الله، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره، كما فعل الرسول ﷺ مع الذين جاءوه يعتذرون له عن تخلفهم.

٢٥ - إن في سجود كعب حين سمع صوت المبشر دليلا ظاهرا على أن تلك كانت عادة الصحابة، وهو سجود الشكر عند حدوث النعم المتجددة، والنقم المنذفة، وقد سجد أبو بكر (رضي الله عنه) لما جاءه خبر مقتل مسيلمة الكذاب (١٢٦)، وسجد علي عندما وجد ذا الثدية مقتولا في الخوارج (١٢٧) وهم في هذا يقتدون بالرسول ﷺ. فقد سجد رسول الله ﷺ عدة مرات لأحداث سارة، وقال أبو بكر: «كان رسول

(١٢٥) أخرجه أبو داود: السنن (٣/ ك. الجهاد/ ح ٢٥٠٤، وأحد: المسند (٣/ ١٢٤ و ١٥٣)، والتسائي: السنن (٦/ ٧/ ك. الجهاد/ ح ٣٠٩٨)، والدارمي: السنن (٢/ ٢١٣/ ك. الجهاد)، والحاكم: المستدرک (٢/ ٨١) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان: موارد الطمان (ح ١٦١٨)، ولفظ ابن حبان: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم».

(١٢٦) أخرجه البيهقي: السنن الكبرى (٢/ ٣٧١/ ك. الصلاة/ ب. سجود الشكر).

(١٢٧) أحمد المسند (٢/ ٨٤٨/ شاکر) وصححه شاکر إسناده.

الله ﷺ إذا أتاه أمر يسره خر لله ساجدا» (١٢٨)، ومن أمثلة ذلك سجوده عندما أتاه خبر إسلام همدان علي يد علي بن أبي طالب (١٢٩).

٢٦ - استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال، كما جاء في موقف كعب وجواره مع الرسول ﷺ عندما أراد التصدق بكل ماله، ولكن الرسول ﷺ استحب له الثلث، فأمسك فقط سهمه الذي بخير (١٣٠).

٢٧ - مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب، وأنهم يحرزون بذلك دماءهم وأموالهم، فقد رأيت أن الروم اختفوا وتفرقوا عن مواجهة رسول الله ﷺ حينما وصل تبوك، وجاءه نصارى العرب فصالحوه على الجزية.

٢٨ - إن موقف كعب من رسالة ملك غسان وتعليقه على طلبه، فيه صورة رائعة لما ينبغي أن يكون عليه إيمان المسلم بربه تعالى، وإن الابتلاء لا بد أن يكشف عن المزيد من الإيثار وشدة الإخلاص.

٢٩ - لقد وطدت هذه الغزوة سلطان الإسلام في شمالي شبه الجزيرة العربية، ومهدت لفتوح الشام التي استعد لها الرسول ﷺ بإعداد جيش أسامة قبيل وفاته، فأنفذه أبوبكر (رضي الله عنه)، ثم أتبعه أبوبكر بجيوش الفتح الأخرى التي انساحت في بلاد الشام والعراق، وكانت بداية تحرير شعوب تلك المناطق من عبودية القيصرية والكسروية.

(١٢٨) أبوداود: السنن (٣/٢١٦/ك. الجهاد/ح ٢٧٧٤) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود، رقم ٢٤٧٩، الترمذي: السنن (٥/٣٠٤/ح ١٥٧٨/الدعاس)، وقال: حسن غريب، الألباني: صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٣٣/ك. الصلاة/ح ١٣٩٤) وقال: «حسن»، وقال ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٨٤). عن هذه الآثار المذكورة في سجود الشكر: «وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها».

(١٢٩) البخاري/الفتح (١٦/١٨٤/ح ٤٣٤٩) وستأن قصة علي مع همدان في الفصل السابع والعشرين - المبحث الثاني: «بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن».

(١٣٠) أخرجه أبوداود: السنن (٣/٦١٤/ك. الإيثار والنذور/ح ٣٣٢١)، بإسناد صحيح ولزيد من الفوائد والتفاصيل، انظر ابن القيم: زاد المعاد (٣/٥٥٨ - ٥٩٢)، ابن حجر: الفتح (١٦/٢٥١ - ٢٥٤).